مجلة نور الاستقامة

الفتوى بدون علم

٥٧

آفة عظيمة

تطل برأسها إلينا، تستثير حفيظة البعض حين نتحدث عنها، ويراها البعض الآخر ممن يستمرئها أمرا عاديا بل ميزة تستوجب المديح، وقد جاءت نصوص شرعية كثيرة تحذر من هذه الآفة الخطيرة ،والفتاوى اليوم قد أصبحت في كل مكان في البيوت والشوارع وأماكن العمل، وعبر وسائل التواصل الاجتماعي لاسيما خدمة الواتس اب التي لم يترك الناس فيها بابا من أبواب الفتوى إلا طرقوه، مع أن الواقع الصحيح يؤكد أنه في جميع التخصصات يجب ألا يفتي فيها سوى أصحابها ، في الطب لا يتكلم سوى الطبيب، وفي الهندسة لا يتكلم سوى مهندس، وكذلك في مجال الفقه لا يجب أن يفتي سوى فقيه، ولكن الحاصل المؤسف الآن أنه في أمور الدين صار الكل أصحاب فتوى، والكل أصحاب آراء وكأنهم قد تخصصوا بالشريعة وطريقة استنباط الأحكام فيها، انظر إلى ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عمر لما جاء الرجل وسأله: "أي البقاع شر في الأرض يا رسول الله؟ قال: لا أدري حتى أسأل جبريل .فسأل جبريل فقال: لا أدري حتى اسأل ميكائيل فجاء فقال: "خير البقاع المساجد، وشرها الأسواق" . فانظروا يا أخوتي إلى هذه اللفتة العجيبة التي يتوقف الإنسان عندها، حتى لا يتسرع بالإفتاء في غير ما يعرف نسأل الله السلامة.

الإفتاء عظيم الخطر

كبير الموقع كثير الفضل، لأن المفتي وارث الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وموقع عن الله، قال ابن المنكدر : (العالم بين الله تعالى وخلقه، فلينظر كيف يدخل بينهم) ولذا كان كثير من فضلاء السلف يتوقف عن الفتيا في أشياء كثيرة معروفة، فقد قال عبد الرحمن بن أبي ليلى : أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول. وروى الآجري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "من فاته لا أدري أصيبت مقاتله." وكان الإمام مالك بن أنس رحمه الله يقول: من أجاب في مسألة فينبغي قبل الجواب أن يعرض نفسه على الجنة والنار، وكيف خلاصه؟ ثم يجيب.

من ترك لا أدري أصيبت مقاتله

من تمام العقل سؤال الأعلم

إن من العقل وإن من الإيمان وإن من تقوى الله وتعظيمه أن يقول الرجل عمّا لا يعلم: لا أعلم، لا أدري، اسأل غيري؛ فإن ذلك من تمام العقل؛ لأن الناس إذا رأوا تثبته وثقوا به؛ ولأنه يعرف قدْر نفسه حينئذ وينزلها منزلتها وإن ذلك أيضا من تمام الإيمان بالله وتقوى الله؛ حيث لا يتقدم بين يدي ربه ولا يقول عليه في دينه ما لا يعلم، ولقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو أعلم الخلق بدين الله، كان يُسأل عمّا لم ينزل عليه فيه الوحي فينتظر حتى ينزل عليه الوحي فيُجيب الله سبحانه عمّا سئل عنه نبيه .

فاتقوا الله عباد الله، لا تقولوا في دين الله ما لا تعلمون، لا تتجرّؤوا على رب العزّة والعظمة؛ إنه إن كان لا يمكنكم أن تقولوا على أدنى واحد من ملوك الأرض ما لا تعلمون فكيف تتجرّؤون فتقولون على الملك القهّار ما لا تعلمون ؟ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ [الأنعام: ١٤٤] .

لقد كنتم تقرؤون في كتاب الله أمثال هذه الآيات يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ [المائدة: ٤]، وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا [الكهف:٨٣]، يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ [الأعراف: ١٨٧].

تمعن في منهج الحبيب المصطفى وصحبه

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الخلق شريعة الله يسأل عما لم ينزل عليه فيه الوحي فينتظر حتى ينزل عليه الوحي فيجيب يقول الله تعالى: يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ[المائدة: ٤] وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا [الكهف:٨٣] يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ [الأعراف: ١٨٧] ولقد كان الأجلاء من الصحابة تعرض لهم المسألة لا يدرون حكم الله فيها فيهابونها ويتوقفون فيها فها هو أبو بكر رضي الله عنه (يقول أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا أنا قلت في كتاب الله بغير علم)، وها هو عمر رضي الله تعالى عنه تنزل به الحادثة فيجمع لها الصحابة ويستشيرهم فيها ، قال ابن سيرين رحمه الله (لم يكن أحد أهيب مما لا يعلم من أبي بكر ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيب مما لا يعلم من عمر). وقال ابن مسعود رضي الله عنه (يا أيها الناس من سئل عن علم يعلمه فليقل به ومن لم يكن عنده علم فليقل الله أعلم فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم).

هل تريد أن تبوء بإثمه؟!

إن كثيراً من العامة يفتي بعضهم بعضاً بما لا يعلمون فتجدهم يقولون هذا حلال وهو مما حرمه الله أو يقولون هذا حرام وهو مما أحله الله أو يقولون هذا واجب وهو مما لم يوجبه الله أو يقولون هذا غير واجب وهو مما أوجبه الله أما يعلم هذا الذي يفتي بغير علم أن الله سائله عما قال يوم القيامة أفلا يعلم أنه إذا أضل شخصاً فأحل له ما حرم الله أو حرمه مما أحل الله له فقد باء بإثمه وكان عليه مثل وزر ما عمله من إثم بسبب فتواه وإن بعض الناس يتعدى إلى ما هو أعظم فيفتي بغير علم في الأنكحة والطلاق وغيرها من هذه الأمور العظيمة وهو لا يدري وإن بعض العامة إذا رأى شخصا يريد أن يستفتي عالما يقول له هذا العامي ما حاجة أن تستفتي هذا أمر واضح هذا حرام مع أنه في الواقع حلال فيحرمه ما أحل الله له أو يقول لا حاجة أن تستفتي هذا واجب فيلزمه بما لم يلزمه الله به أو يقول هذا غير واجب فيسقط عنه ما أوجب الله أو يقول هذا حلال وهو في الواقع حرام فيوقعه فيما حرم الله عليه وهذا لا شك جناية منه على شريعة الله وخيانة لأخيه المسلم حيث غره بدون علم.

الفتوى بغير علم تقول على الله ورسوله

لقد أنكر الله على مَن يُحلّلون ويُحرّمون بأهوائهم فقال تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (٥٩) وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ [يونس: ٥٩-٦٠]، وقال تعالى: وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ [النحل: ١١٦-١١٧].

إن من أكبر الجنايات أن يقول الشخص عن شيء إنه حلال وهو لا يدري عن حكم الله فيه، أو يقول عن الشيء إنه حرام وهو لا يدري عن حكم الله فيه، أو يقول عن الشيء إنه واجب وهو لا يدري أن الله أوجبه، أو يقول عن الشيء إنه غير واجب وهو لا يدري أن الله لم يوجبه؛ إن هذا جناية وسوء أدب مع الله عز وجل، كيف تعلم – أيها العبد – أن الحكم لله ثم تتقدم بين يديه فتقول في دينه وشريعته ما لا تعلم؟

لقد قرَنَ الله تعالى القول عليه بلا علم بالشرك فقال سبحانه وتعالى: قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ [الأعراف: ٣٣]

همسة أخيرة

إنك أيها الإنسان لا تلفظ كلمة من الكلمات إلا وعندك رقيب حاضر لا ينفك عنك وسوف يكتب ما تقول حتى تواجه به يوم القيامة كما قال الله عز وجل: وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ، اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا [الإسراء:١٣-١٤] مَا أكثر الكلام الذي نتكلم به ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل (ألا أدلك على ملاك ذلك كله) قلت بلا يا رسول الله فأخذ بلسان نفسه ثم قال (كف عليك هذا) قلت يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال (ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم) (٦) يا عباد الله انظروا ماذا تتكلمون به هل تتكلمون بخير فهو لكم أو تتكلمون بشر فهو عليكم أو تتكلمون بلغو أو فتوى بدون علم فإنه خسارة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت). اللهم إنا نعوذ بك أن نضل أو نضل أو نذل أو نذل أو نظلم أو نظلم أو نجهل أو يجهل علينا يا رب العالمين اللهم أحفظ ألسنتنا من سوء القول وجوارحنا من سوء العمل وقلوبنا من سوء النيات يا رب العالمين اللهم اجعلنا صالحين مصلحين بمنك وكرمك يا رب العالمين

للحجز و الاستفسار : ٠٠٩٦٨٩٢٢٢٨١٦٦ أو ٠٠٩٦٨٩٣٢٧٧١١٩